أولاً : أثر النية في العمل

obeikandl.com

obeikandl.com

الحديث الأول: تقوى الله في الجوهر والمظهر

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**».

- تخريج الحديث:

- رواه مسلم في كتاب البر.

- رواه أحمد: ج٢، ص ٢٨٥، ص ٥٣٩.

- رواه ابن ماجه في باب الزهد عن أبي هريرة رفعه إلى النبي ﷺ قال: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى أعمالكم وقلوبكم».

- الراوي:

الإمام الفقيه المجتهد الحافظ، صاحب رسول الله ﷺ، أبو هريرة الدوسي اليماني، سيد الحفاظ الأثبات. اختلف في اسمه على أقوال جمة، أرجحها عبدالرحمن بن صخر. ويقال كان اسمه في الجاهلية عبد شمس «أبو الأسود» فسماه رسول الله ﷺ عبد الله وكناه «أبو هريرة» وأمه ــ رضي الله عنها ــ هي ميمونة بنت صبيح.

حمل عن النبي ﷺ علمًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، لم يلحق في كثرته، وعن أبي وأبي بكر وعمر وأسامة وعائشة والفضل وكعب الحبر.

حدث عنه خلق كثر من الصحابة والتابعين، فقيل: بلغ عدد أصحابه ثمانمائة.

وكان مقدمه وإسلامه في أول سنة سبع، عام خيبر، وقال عبد الرحمن: رأيت أبا هريرة رجلاً آدم، بعيد ما بين المنكبين، أفرق الثنيتين، ذا ضفيرتين،

ولحيته حمراء. وعن كريمة بنت الحسحاس قالت: سمعت أبا هريرة في بيت أم الدرداء يقول: ثلاث هن كفر: النياحة وشق الجيب والطعن في النسب.

قال ابن سيرين: قال أبو هريرة: لقد رأيتني أصرع بين القبر والمنبر من الجوع حتى يقولوا مجنون.

عمر بن ذر: حدثنا مجاهد، عن أبي هريرة، قال: «والله؛ إن كنت لأعتمد على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع؛ ولقد قعدت على طريقهم، فمر بي أبو بكر، فسألته عن آية في كتاب الله ـ ما أسأله إلا ليستتبعني ـ فمر، ولم يفعل، فمر عمر، فكذلك، حتى مر بي رسول الله ﷺ فعرف ما في وجهي من الجوع، فقال: أبو هريرة؟ قلت: لبيك يا رسول الله، فدخلت معه البيت فوجد لبنًا في قدح فقال من أين لكم هذا؟ أرسل به إليك فلان. فقال: يا أبا هريرة انطلق إلى أهل الصفة فادعهم. وكان أهل الصفة أضياف الإسلام لا أهل ولا مال.

ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد فأتيتهم فأقبلوا مجيبين فلما جلسوا قال: خذ يا أبا هريرة فأعطهم فجعلت أعطي الرجل فيشرب حتى يروى، حتى أتيت على جميعهم، وناولته رسول الله ﷺ فرفع رأسه إليه مبتسمًا وقال: بقيت أنا وأنت. قلت: صدقت يا رسول الله. قال: فاشرب. فشربت. فقال: اشرب. فشربت. فما زال يقول: اشرب فأشرب حتى قلت: والذي بعثك بالحق ما أجد له مساغًا. فأخذ فشرب عن الفضلة[1].

صحب أبو هريرة رسول الله ﷺ أربع سنوات بعد غزوة خيبر يدور معه في بيوت نسائه يخدمه ويصلي خلفه، يحج ويغزو ولا ينقطع عن مجالسه، بل كان

(١) أخرجه البخاري في الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه، وأحمد ج٢ حديث ٥١٥ والترمذي في صفة القيامة.

المسجد مقامه ورسول الله إمامه، فعرف كثيرًا من سنة الرسول ﷺ وشاهد دقائق الشريعة والسنة النبوية.

عرف الرسول ﷺ حرصه على الحديث، وحبه للعلم، فكان لا يتأخر في إجابته عما يسأل، ويدعو له بالتوفيق ويخصه بالتعليم.

- أسباب كثرة أحاديثه:

يتحدث أبو هريرة عن نفسه فيقول: إن أصحابي من المهاجرين كانت تشغلهم أرضوهم والقيام عليها وإني كنت امرأ مسكينًا، ألزم رسول الله ﷺ، أحضر إذا غابوا، وأحفظ إذا نسوا، وإن النبي ﷺ حدثنا يومًا فقال: «من يبسط ثوبه حتى أفرغ فيه من حديثي ثم يقبضه إليه فلا ينسى شيئًا سمعه مني أبدًا». فبسطت ثوبي ثم قبضته إليّ، فوالله ما كنت نسيت شيئًا سمعته منه.

وفي سنن النسائي أن أبا هريرة دعا لنفسه: اللهم إني أسألك علمًا لا يُنسى. فقال النبي ﷺ: آمين.

ومن أسباب كثرة مروياته جرأته على السؤال. عن معاذ بن محمد بن معاذ بن أبي عن أبي بن كعب قال: كان أبو هريرة جريئًا على النبي ﷺ يسأله عن أشياء لا نسأله عنها.

- مسنده: خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثًا. المتفق في البخاري ومسلم منها ثلاثمائة وستة وعشرون، وانفرد البخاري بثلاثة وتسعين حديثًا، ومسلم بثمانية وتسعين حديثًا.

عن سليم بن بشير أن أبا هريرة بكى في مرضه، فقيل: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي على دنياكم هذه ولكن على بعد سفري وقلة زادي، وإني أمسيت في صعود ومهبطة على جنة أو نار فلا أدري أيهما يؤخذ بي.

قال الواقدي: كان ينزل ذا الحليفة وله بالمدينة دار تصدق بها على مواليه. ومات سنة تسع وخمسين، وله ثمان وسبعون سنة[1].

- المباحث العربية:

«إن الله لا ينظر إلى صوركم»: جملة خبرية مؤكدة بمؤكد واحد، يستعمل هذا إن كان المخاطب مترددًا في قبول الخبر طالبًا تأكيده، ويسمى هذا بالأسلوب الطلبي.

- المعنى العام:

كانت الأمة العربية لها مفاخر وعادات وفضائل وتقاليد فرضتها طبيعة الصحراء، منها الكرم والشجاعة، والإباء والفخر والخيلاء والاعتداد بالنفس وبقوة الجسم، والاعتناء بالمظاهر والصور والأشكال بمعاييرها الجاهلية التي فيها حب الظهور ورغبة الشهرة وليقال كذا وكذا...

وجاء الإسلام يصحح هذه المعايير، ويجردها من المظاهر والرياء، ويحولها إلى التقوى ومخافة الله وخشيته في السر والعلن، وكان ذلك بالتدريج وفي مناسبات مختلفة، فقد كانوا في الجاهلية إذا ذبحوا لآلهتهم يضعون عليها من لحوم قرابينهم، وينضحون عليها من دمائها، فأنزل الله تعالى: ﴿**لن ينال الله لحومُها ولا دماؤها ولكن ينالُهُ التقوى منكم**﴾[2]. وبهذا ربط القلوب بحقيقة إيمانية أصيلة هي التقوى، وأبطل العادة الجاهلية الفارغة من الرصيد الإيماني، ووجه المؤمنين إلى ترك المقاييس القبلية من الفخر والرياء والاهتمام بالمظاهر، وجاء الحديث ليؤكد هذه المفاهيم ويشرحها «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم». جاء ليصحح التصور الإيماني للأعمال كلها، ويحولها إلى التقوى والشعور بالله ورقابته في السر والعلن.

---

(١) سير أعلام النبلاء ج٢، ص ٥٧٨ ـ ٦٣٢.

(٢) الحج: ٣٧.

وقال: «ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» ليجرد النفس من الشوائب والشهوات، ويوصلها إلى مرتبة الإحسان، بأن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. وحين تصل النفس إلى هذه المرتبة فإنها تفعل الطاعات كلها، وتنهى عن المعاصي كلها، وتراقب الله في الصغيرة والكبيرة، وفي السر والعلن على السواء، وهكذا لا يخطو المسلم في حياته خطوة إلا وهو ينظر فيها إلى الله، ويجيش في قلبه تقواه، ويتطلع فيها إلى وجهه ورضاه، فإذا الحياة كلها عبادة تتحقق فيها إرادة الله من خلق العباد، وتصلح بها الحياة في الأرض وهي موصولة السبب بالسماء.

«إن الله لا ينظر إلى صوركم» أي لا ينظر إلى المظاهر الخارجية الخالية من الحقائق والواقعية، فقيمة الإنسان وصورته أن يكون صادقًا مع الله، مخلصًا للناس، بعيدًا عن النفاق، أي لا يجازيكم على ظاهرها، (ولا إلى أموالكم) الخالية من الخيرات غير الزكاة، ولا إلى الأموال التي لم يخرج منها حق السائل والمحروم ﴿**وفي أموالهم حق للسائل والمحروم**﴾، ولا إلى الأموال التي لن تنفق في وجوه بر الوالدين وحقوق الأقارب ﴿**وآتِ ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرًا**﴾[1].

وهي توجيهات نبوية كريمة للمؤمن حتى يقدر نعمة المال ويتحكم فيه في ضوء الكتاب والسنة وينفق على أساس أنه أمانة الله بيده ﴿**ومما رزقناهم ينفقون**﴾[2]. وإنما يقدر الله تعالى إلى الأموال التي تنفق في سبيل الله ﴿**الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾[3]. وينمي الأموال التي تنفق بأريحية

---

(١) الإسراء: ٢٦.

(٢) البقرة: ٣.

(٣) البقرة: ٢٦٢.

وبسرية وبالإخفاء والابتغاء لمرضاة الله ﴿**ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتًا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير**﴾[1]. وهذه هي الأموال التي ينظر الله تعالى إليها نظرة استحسان وتكريم، ويثيب عليها ويضاعف أجر الإنفاق في مثل هذه المواقف.

ولا ينظر إلى الأموال التي تنفق رياءً ﴿**والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينًا فساء قرينًا**﴾[2].

«ولا إلى أموالكم» الخالية من الخيرات، أي لا يثيبكم عليها ولا يقربكم منه[3]. «ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم» التي هي محل التقوى وأوعية الجواهر وكنوز المعرفة. وتقوى الله في الجوهر والمظهر هو المطلوب من المؤمن ﴿**ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون**﴾[4]. «ولكن ينظر إلى قلوبكم» إذا كانت القلوب صافية تزداد إيمانًا بالله وتتقيه في كل حركاته وسكناته فتقترب إلى رحمة الله ﴿**ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون**﴾[5].

ومن أبرز المعاني التي يشير إليها النبي ﷺ «ولكن ينظر إلى قلوبكم». والقلوب كما فهمها السلف هي محل التقوى ومحل نظر الله تعالى. قال تعالى: ﴿**إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**﴾ أي معهم بتأييده ونصره ومعونته وهدية وسعيه. ﴿**الذين اتقوا**﴾ أي تركوا المحرمات ﴿**والذين هم محسنون**﴾ أي

---

(١) البقرة: ٢٦٥.

(٢) النساء: ٣٨.

(٣) فيض القدير ج٢، ص ٢٧٧.

(٤) البقرة: ١٠٣.

(٥) الأعراف: ٩٦.

فعلوا الطاعات فهؤلاء يحفظهم الله ويكلؤهم وينصرهم ويؤيدهم ويظفرون على أعدائهم ومخالفيهم[1].

(وأعمالكم) ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحًا﴾ فمعنى النظر هنا الإحسان والرحمة والعطف. ومعنى نفيه نفي ذلك، فعبر عن الكائن عند النظر بالنظر مجازًا؛ وذلك لأن النظر في الشاهد دليل محبة، وترك النظر دليل البغض والكراهية، وميل الناس إلى الصور المعجبة والأموال الفائقة، والله منزه عن ذلك، فجعل نظره إلى ما هو السر واللب وهو القلب والعمل. والجمال قسمان ظاهري وباطني، كجمال علم وعقل وكرم. وهذا هو محل نظر الله من غيره وموضع محبته، فيرى صاحب الجمال الباطني فيكون من الجمال والمهابة والحلاوة بحسب ما اكتسبت روحه من تلك الصفات، فإن المؤمن يعطى حلاوة ومهابة بحسب إيمانه، فمن رآه هابه، ومن خالطه أحبه، وإن كان أسود مشوهًا. وهذا أمر مشهود بالعيان[2].

- فقه الحديث:

الأصل في العبادات هو طاعة الله دون شرك ولا رياء، فيقول رسول الله ﷺ: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»: قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء». رواه أحمد والطبراني. «فإنه أخفى من دبيب النمل»، كما حدث الرسول ﷺ، وإن كان الله برحمته يغفر الشرك الخفي وهو الرياء الذي يخفى على الإنسان صاحبه، ولا يأتيه بقصد منه، ولا يغفر الرياء الذي يأتيه الإنسان بوعي منه وإرادة، يريد بذلك استجلاب مديح الناس ولا يبتغي به مرضاة الله.

---

(١) ابن كثير - سورة النحل م ٢ ص ٩١٩.

(٢) فيض القدير ج٢ ص٢٧٧، ٢٧٨.

«وأما إذا كـان أصل العمل لله ثم طـرأ عليه نيـة الرياء، فـإن كان خاطـرًا ثم دفعه فـلا يضره بغير خلاف، وإن استرسل معـه فهل يبطل عمله أو لا ويجازى على أصل نيته؟ في ذلك اختـلاف بين العلماء من السلف قد حكـاه الإمام أحمد وابن جـرير، ورجحا أن عملـه لا يبطل بـذلك، وأنه يجازى بنيتـه الأولى، وهو مروي عن الحسن وغيره»[1].

- ما يستفاد من الحديث:

١ - إخلاص العمل لله، وتجرد النفس من العبودية لغير الله.

٢ - أن يتربى المؤمن على تقوى الله؛ لأنها سنده في الـوصول إلى النجاة ورضا الله.

٣ - يدعـو الحديث إلى نبذ العـادات والتقاليـد والابتعاد عن المظـاهر وجميع أنواع الرياء.

٤ - الحديث لا يعني إهمال الظاهر، وإنما يرفض الاعتداد به، وجعله الميزان الـذي يوزن بـه النـاس. فـالمسلم يجب عليه أن يكـون نظيف البـاطن، نظيف الظاهر، حسن الهندام، وبذلك تتكامل شخصيته بشقيها: الجوهر والمظهر.

٥ - قال الغـزالي: قد أبان هـذا الحديث أن محل القلب موضع نظـر الرب، فيـا عجبـا ممن يهتم بوجهـه الـذي هـو نظـر الخلق فيغسله وينظفـه من القـذر والدنس ويزينـه بما أمكن لئلا يطلع فيه مخلوق على عيـب، ولا يهتم بقلبه الذي هو محل نظر الخالق فيطهره ويزينه لئلا يطلع ربه على دنس أو غيره[2].

---

(١) الجامع الفريد: ص ١٥٤. يحتوي على كتب ورسائل لأئمة الدعوة. الطبعة الثانية وقف لله تعالى.
(٢) فيض القدير جـ٢ ص ٢٧٨.

الحديث الثاني : إنما الدنيا لأربعة

حدثنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا أبو نعيم، أخبرنا عُبادة بن مسلم، أخبرنا يونس بن خبَّاب عن سعيد الطائي أبي البَخْتَرِيِّ أنه قال: حدثني أبو كَبْشَة الأنماري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ثلاث أُقْسِمُ عليهن وأحدثكم حديثًا فاحفظوه. قال: ما نقص مالُ عبدٍ من صدقة، ولا ظُلِمَ عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزًّا، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر ـ أو كلمة نحوها ـ وأحدثكم حديثًا فاحفظوه. فقال: إنما الدنيا لأربعة نفر: عَبْدٍ رزقه الله مالاً وعلمًا فهو يتَّقي ربه فيه ويصل به رحمه ويعلمُ لله فيه حقًّا فهذا بأفضل المنازل، وعبدٍ رزقه الله علما ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيته فأجرهما سواء، وعبدٍ رزقه الله مالاً ولم يرزقه علما يُخْبَطُ في ماله بغير علم؛ لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقًّا فهو بأخبث المنازل، وعبدٍ لم يرزقه الله مالاً ولا علمًا فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء**».

- تخريج الحديث:

- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي جـ٦ (أبواب الزهد ـ باب ما جاء مَثَلُ الدنيا مِثْلُ أربعة نفر) ص٥٠٦ ـ ٥٠٨. وقال: حديث حسن.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل جـ٤، ص٢٣١، حديث رقم ١٨٠٥.

- الراوي:

أبو كبشة الأنماري ــ رضي الله عنه ــ ممن لقي النبي ﷺ مسلمًا ومات على الإسلام، واسمه سليم من مولدي أرض دوس.

اختلف في اسمه فقال ابن حبان في ترجمته: عبد الله بن أبي كبشة (من الثقات) واسمه أبو كبشة الأنماري سعيد بن عمرو. وقال غيره: نزل الشام واسمه عمرو بن سعيد. وقيل: عمير بضم العين. وقيل: عامر. وقيل: سليم. وقال أبو أحمد الحاكم: له صحبة. وجزم بأنه عمير بن سعد وكذا جزم به الترمذي. وحكى الخلاف في اسمه البخاري فيمن اسمه عمرو. وأخرج البيهقي في الدلائل من طريق المسعودي عن إسماعيل بن أوسط عن محمد بن أبي كبشة عن أبيه قال: «لما كان في غزوة تبوك تسارع القوم إلى الحجر فأتيت رسول الله ﷺ وهو ممسك بعيره وهو يقول على ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم...». والحديث يشير إلى مواقف مشهودة مع الرسول ﷺ كما يوضح شدة صلته بالنبي ﷺ.

وروى أيضًا أبو كبشة عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، وروى عنه ابناه عبد الله ومحمد، وسالم ابن أبي الجعد وغيره.

وشهد أبو كبشة مع رسول الله ﷺ بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها، وتوفي أول يوم استخلف عمر بن الخطاب، وذلك يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة[1].

- المعاني اللغوية والبلاغية:

يقول: «ثلاثٌ» أي من الخصال.

«أقسم عليهن» أي أحلف عليهن.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد م٣ ص٤٩، وكتاب الإصابة في تمييز الصحابة م٤ باب الكنى، حرف الكاف، القسم الأول (أبو كبشة) ص١٦٤، ١٦٥.

«ولا ظُلم عبد مظلمة» بصيغة المجهول. «صبر عليها» أي على تلك المظلمة ولو كان متضمناً لنوع من المذلة إلا زاده الله عزًّا في الدنيا وفي الآخرة.

«إنما الدنيا لأربعة نفر» إنما أداة حصر وقصر تدل على حصر المبتدأ (الدنيا) في الخبر «لأربعة نفر». إنما حال أهلها حال أربعة أنواع من الناس لا يكاد يخرج منها. الأول (عبدٌ) على أنه خبر مبتدأ محذوف، أو بالجر على أنه بدل مما قبله.

«إنما الدنيا لأربعة نفر» فيه أيضًا إجمال ثم تفصيل، أجمل أولاً في أربعة ثم فصّل. وهو من أساليب الإطناب التي تزيد المعنى جلاءً في القلب ورسوخًا في الذهن.

- المعنى العام:

لقد خلق الله الدنيا وزينتها بالمباهج والمسرات ليستمتع بها الناس، وليعملوا في الأرض زراعة واكتشافًا لبواطنها؛ لتوفيرها وتحصيلها، فتنمو الحياة وتتجدد، وتتحقق خلافة الإنسان في هذه الأرض، ذلك على أن تكون وجهتهم في هذا المتاع هي الآخرة فلا ينحرفون عن طريقها ولا يشتغلون بالمتاع عن تكاليفها، ولا ينغمسون في ملذاتها، فكان ﷺ يبين لأصحابه الطريق المعتدل المتوازي للحياة في هذه الدنيا فيهون عليهم الدنيا في بعض المرات. (حدثنا قتيبة أخبرنا عبد الحميد بن سليمان عن حازم عن مسعر بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء»[1])؛ لأن الكافر عدو الله، والعدو لا يُعطى شيئًا مما له قدر عند المعطى.

والدنيا وحياتها اللذيذة وزينتها المثيرة تغري المؤمن وتخدعه، فيندفع نحوها مجاراة لأصحاب الديانات الأخرى، فكان ﷺ يسلك الوسائل التربوية المرئية

---

(١) تحفة الأحوذي ج٦ (باب ما جاء في هوان الدنيا على الله) ص ٦١١.

والمسموعة ليعالج اندفاع المؤمن نحو ملذات الحياة؛ فعن قيس بن أبي حازم عن المُسْتَوْرِد بن شدّاد قال: كنت مع الركب الذين وقفوا مع رسول الله ﷺ على السخلة الميتة فقال رسول الله ﷺ: «أترون هذه هانت على أهلها حين ألقوها؟ قالوا: من هوانها ألقوها يا رسول الله. قال: الدنيا أهون على الله من هذه على أهلها» (١).

موقف تربوي ميمون يتحرك الرسول ﷺ ومعه أصحابه، ثم يستوقفهم ﷺ أمام الشاة الميتة المرمية على الأرض، ثم يلفت أنظارهم إلى هذا المنظر المنتن، ويثير كوامن مشاعرهم، فيقول: أترون هذه هانت على أهلها حين ألقوها؟ قالوا: نعم يا رسول الله. فيستثمر الرسول هذا الموقف ويعطيهم جرعة تربوية قائلاً: الدنيا أهون على الله من هذه على أهلها.

وهكذا يحقق هذا المنهج النبوي الاعتدال والتوازن في حياة الإنسان ويمكنهم من الارتقاء الروحي الدائم من خلال حياته الطبيعية المتعادلة التي لا حرمان فيها ولا إهدار لمقومات الحياة الفطرية البسيطة.

وتتكرر هذه المواقف وتشتد الكلمات التربوية حينًا وترق حينًا آخر، حدثنا محمد بن حاتم المؤدب أخبرنا علي بن ثابت أخبرنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان قال: سمعت عطاء بن قرة قال: سمعت عبد الله بن ضمرة قال: سمعت أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم ومتعلم»(٢).

---

(١) تحفة الأحوذي جـ٦ باب ما جاء في هوان الدنيا على الله.

(٢) المصدر نفسه ص٣١٦.

ومن معاني التربية ونظرة المؤمن نحو الدنيا قوله ﷺ: «ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم حديثًا فاحفظوه. قال: ما نقص مال عبد من صدقة...». والوقفة هنا تتطلب معرفة الحقائق النفسية ومسارب النفس البشرية؛ فإن الشيطان يجري في الإنسان مجرى الدم، ويخوفه من الإنفاق في سبيل الله ﴿**الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم**﴾[1].

وإلى هذا يشير ﷺ فيقول: «ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزًّا». وهذه المظلمة عادة تكون من معالم الدنيا. ومن حب الدنيا ومظاهرها فتح باب المسألة والإلحاح في السؤال، ويعالجه الرسول ﷺ قائلاً: «ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر ـ أو كلمة نحوها». ويستمر النبي ﷺ في معالجة حب الدنيا والانغماس في هذه المعضلة العويصة، فيقول إن أمر المؤمن في هذه الدنيا لا يكاد يخرج عن أربع حالات.

«إنما الدنيا لأربعة نفر». أفضل الحالات وأجملها هي حالة العبد الذي رزقه الله مالاً وعلمًا (علمًا شرعيًّا نافعًا) فهو يتقي ربه فيه، أي في الإنفاق من المال والعلم، ويصل به أي بكل منها (رحمه) أي بالصلة من المال وبالإسعاف بجاه العلم. «ويعلم لله فيه حقًّا» من وقف وإقراء وإفتاء وتدريس، «فهذا» أي العبد الموصوف بما ذكر «بأفضل المنازل» أي بأفضل الدرجات عند الله تعالى[2].

---

(١) البقرة: آية ٢٦٨.

(٢) تحفة الأحوذي ج٦ (باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر) ص٦١٦.

هكذا بكل وضوح وفي جمل قصيرة وعبارات بليغة بين الرسول ﷺ أن موقف المؤمن في هذه الدنيا أن يجعلها مزرعة للآخرة، وبذلك قد يكسب الدنيا والآخرة، فيخدم الإسلام، ويكرم العلماء، ويعالج الفقراء والمساكين، ويتودد إلى الأقرباء والجيران، ويسهم في معالجة قضايا العالم الإسلامي، ويفرج كربات المؤمنين والمساكين، ويتصرف في ماله باعتدال وحكمة، فينفق في ضوء الإسلام والقرآن، ويكون المال عونًا للطاعة، ووسيلة لكسب الأجر، فيكون غناء المؤمن مثل غناء عثمان بن عفان، ومال عبد الرحمن بن عوف، وثراء أبي بكر الصديق رضي الله عنهم.

والنوع الآخر من المؤمن «وعبد رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالاً» (علمًا) أي شرعيًّا نافعًا «ولم يرزقه مالاً» ينفق منه في وجوه القربى، يقوم فيما بينه وبين الله «بعمل فلان» أي الذي له مال ينفق منه في البر، وهذه الطبقة ـ طبقة العلماء والدعاة والمؤلفين ـ مَنَّ الله عليهم بنعمة العلم، فسهروا الليالي بين الكتب، وارتووا من مناهل العلوم، وانشغلوا في التتبع بأنواع المعارف، ولم تمكنهم ظروفهم من كسب الدنيا، ولكنهم يتمنون أن يساعدوا المحتاج، ويشتاقون للوقوف بجانب المحتاجين، ويحترقون للمساهمة الفعالة لتفريج كرب المؤمنين، فهم بهذه النية وبهذا الاحتساب يؤجرون، وأجرهم لا يقل عن النوع الأول.

والنوع الثالث «عبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علمًا» يخبط في ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربه، بل يصرفه في شهوات نفسه بغير علم. قال القاري: أي بغير استعمال علم يمسك تارة حرصا وحبًّا للدنيا، وينفق أخرى للسمعة والرياء والفخر والخيلاء. «لا يتقي فيه ربه» أي لعدم علمه في أخذه وصرفه.

«ولا يصل فيه رحمه» أي لقلة رحمتـه وعدم حلمه وكثرة حـرصه وبخله. «ولا يعلم لله فيه حقًّـا». وفي المشكاة: ولا يعمل فيه بحق. قـال القاري: رحمه الله: أي بنوع من الحقـوق المتعلقة بالله وبعبـاده. فهو بأخبث المنازل عنـد الله تعالى، أي أخسها وأحقرها.

هذا النـوع من المال وهذا النوع من الـدنيا يكاد يكـون ابتلاءً للمؤمن وانـزلاقًا للمنافق ومفسدة للآخرين.

إن الفراغ والمال والجده مفسدة للمرء أي مفسده

الصنف الأخير «عبـد لم يـرزقـه الله مـالاً ولا علمًا فهـو يقـول لـو أن لي مـالاً لعملت فيـــه بعمل فـــلان» أي مـن أهل الشر، يعني يتمنـى أن ينغمس في الملذات، ويبتعد عن القيم الخلقية، ويتودد إلى أصحاب المعاصي، ويصاحب الأشرار، ويسلك مســالك أهل الفســاد، ويتمنـى أن ينضم إليهم، ويحذو حـذوهم، ويعرف بهم، ويجاهـر بذلـك، فيقول: «لـو أن لي مالاً لعملت فيـه بعمل فـلان». فهو يبعث معـه يوم القيامـة لقولـه ﷺ: «المرء مع من أحب». وإلى هذا يشير الحديث «فهو بنيته فوزرهما سواء»(١).

- فقه الحديث:

١ - من واجبات المؤمـن الغني أن يصل بماله رحمه وأن يعلم لله فيـه حقًّا من وقف وإقراء، والإنفـاق في سبل الخير من بناء المستشفيـات والمدارس والجوامع ودور الأيتام وحفر الآبار.

٢ - يجوز للعـالم أن يتمنى الثـراء والغنى ويسعى للكسب والتـوفير لينفق في سبيل الله.

---

(١) تحفة الأحوذي ج٦ (باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر) ص٦١٧.

- ما يستفاد من الحديث:

١ - الحديث يشير إلى تقليل حب الدنيا وإلى الاعتدال والقصد في المنهج الإسلامي وفي الإنفاق وفي الكسب ويقرر أنه من اتجه إلى الله وأسلم له أمره وترك لله الخيرة، ورضي بما يختاره له الله من العلم والمال فلن تفوته حسنات الدنيا ولا حسنات الآخرة، بل يكون في أفضل المنازل.

٢ - يشيد الحديث بالعلم والعلماء الذين انشغلوا بالتربية والتعليم ولم يجدوا فرصة للكسب والتوفير، ولكنهم يتمنون الإنفاق في سبيل الله. وهؤلاء لهم نصيب مضمون لا يبطئ عليهم معالم الخير.

٣ - ويشير الحديث إلى فريق همه الدنيا فهو حريص عليها مشغول بها محروم من العلم والمال، ولكنه يمني نفسه فيقول لو أن له مالاً لعمل كذا وكذا من الشر، فقد خسر الدنيا والآخرة.

الحديث الثالث: المرء مع من أحب

حدثنا بشر بن خالد حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن سليمان عن أبي وائل عن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: «**المرء مع من أحب**».

- تخريج الحديث:

١ - فتح الباري، كتاب الأدب، باب علامة الحب في الله م١٠ ص٥٥٧.

٢ - وفي مسلم: حدثنا ثابت البُناني عن أنس بن مالك قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: وما أعددت للساعة؟ قال: حب الله ورسوله. قال: فإنك مع من أحببت» قال أنس: فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم.

٣ - تحفة الأحوذي، أبواب الزهد، باب المرء مع من أحب، م٧ ص٦٠ ومنه «المرء مع من أحب وله ما اكتسب» (هذا حديث حسن غريب من حديث الحسن البصري عن أنس).

وفي الباب عن علي وعبد الله بن مسعود وصفوان بن عسال وأبي هريرة وأبي موسى. وأما حديث علي فأخرجه الطبراني في الصغير والأوسط بإسناد جيد. وأما حديث عبد الله بن مسعود فأخرجه الشيخان. وأما حديث صفوان بن عسال فأخرجه الترمذي ـ عن صفوان بن عسال قال: جاء أعرابي جَهْوَريّ الصوت فقال: يا محمد، الرجل يحب القوم ولما يلحق هو بهم. فقال رسولَ الله ﷺ: «المرء مع من أحب». هذا حديث صحيح.

وأما حديث أبي موسى فأخرجه البخاري: حدثنا سفيان عن الأعمش بن أبي وائل عن أبي موسى قال: «قيل للنبي ﷺ: الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم. قال: المرء مع من أحب» تابعه أبو معاوية ومحمد بن عبيد.

٤ – وفي سنن الدارمي عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله الرجل يحب القوم ولا يستطيع أن يعمل مثل عملهم. قال: أنت يا أبا ذر مع من أحببت، قال: فإني أحب الله ورسوله. قال: أنت مع من أحببت. م٢ (باب المرء مع من أحب) ص٣٢١، ٣٢٢.

– الراوي:

الحديث عن (عبد الله) هكذا رواه أصحاب شعبة، حيث إنهم قالوا: (عن عبد الله) ولم ينسبوا ابن أبي عدي عند مسلم وأبو داوود الطيالسي عند أبي عوانة... وحكى الإسماعيلي عن بندار أنه عبد الله بن قيس أبو موسى الأشعري. ولكن صنيع البخاري يقتضي أنه كان عند أبي وائل عن ابن مسعود وأبي موسى جميعًا وأن الطريقين صحيحان.

ومن باب الاختصار وفقنا الله لاختيار عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

– الراوي:

عبد الله بن مسعود غافل بن حبيب الهذلي حليف بني زهرة. كان من السابقين الأولين ومن النجباء العالمين، شهد بدرًا وهاجر الهجرتين وكان يوم اليرموك على النفل. ومناقبه غزيرة روى علمًا، كثيرًا، ومروياته قوية وكثيرة، اتفق له في الصحيحين على أربعة وستين حديثًا، وانفرد له البخاري بإخراج واحد وعشرين حديثًا، ومسلم بإخراج خمسة وثلاثين حديثًا. وله عند بقيٍّ بالمكرر ثمانمائة وأربعون حديثًا. وكان عبد الله بن مسعود رجلاً نحيفًا قصيرًا شديد الأدمة أحمش الساقين، وكان معدودًا في أذكياء العلماء، وكان يعرف أيضًا بأمه فيقال له ابن أم عبد.

جاء ابن مسعود من هذيل إلى مكة بعد وفاة أبيه يطلب الكسب فاشتغل

برعي الغنم لعقبة بن أبي معيط، والتقاه رجلان كلمه أحدهما كلامًا عذبًا ورأى منه ما يسرّه، ثم أدرك أنهما رسول الله ﷺ مع صاحبه أبي بكر ــ رضي الله عنه ـ فإذا به يأتي إلى عقبة ويترك له أغنامه وينصرف بحثًا عن النبي ﷺ حتى يجده ويسأله أن يعلمه من الكلام الذي سمعه منه، فيخبره عليه الصلاة والسلام بدعوته فيدخل فيها ويسلم. ويقول له الرسول ﷺ: «إنك غلام معلم».

ويقول ابن مسعود: لقد رأيتني سادس ستة وما على ظهر الأرض مسلم غيرنا. وعن ابن اسحاق: حدثني يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه قال: أول من هجر بالقرآن بمكة بعد رسول الله ﷺ عبد الله بن مسعود. وهو ممن هاجر الهجرتين. ومن فضائله أيضًا قال ابن عباس: ما بقي مع رسول الله ﷺ يوم أحد إلا أربعة أحدهم ابن مسعود. وكان ابن مسعود يلزم رسول الله ﷺ لا يكاد يفارقه، وهو صاحب نعليه وسواكه وطهوره.

عن أبي موسى قال: قدمت أنا وأخي من اليمن فمكثنا حينًا وما نحسب ابن مسعود إلا من أهل بيت الرسول ﷺ لكثرة دخوله وخروجه عليهم. وعن عبد الله بن مسعود قال: ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت وفيما نزلت. وقال: لقد قرأت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة، ولقد علم أصحاب محمد ﷺ أني أعلمهم بكتاب الله ولو أعلم أحدًا أعلم بكتاب الله مني لرحلت إليه.

عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار، عن أبيه، عن جده أن رسول الله ﷺ مر بابن مسعود وهو يقرأ حرفًا فقال: «من سرّه أن يقرأ القرآن غضًّا كما أنزل فليسمعه من ابن مسعود». ومن فضائله أيضًا، عن عليّ قال رسول الله ﷺ: «لو كنت مؤمرًا أحدًا عن غير مشورة لأمرت عليهم ابن أم عبد». وعن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «اقتدوا باللَّذَيْنِ من بعدي أبي بكر وعمر، واهتدوا

بهدي عمار وتمسكوا بعهد ابن أم عبد». وعن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرأ عليّ القرآن. قلت: يا رسول الله: أقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: إني أشتهي أن أسمعه من غيري. فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت: ﴿**فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا**﴾ [النساء: ٤١]. فغمزني برجله فإذا عيناه تذرفان».

وكان ابن مسعود يقول في دعائه: خائف مستجير تائب مستغفر راغب راهب. وكان يقول: من أراد الآخرة أضر بالدنيا ومن أراد الدنيا أضر بالآخرة. يا قوم فأضروا بالفاني للباقي.

هذه الكلمات وتلك العادات والصفات وملازمته لبيت النبوة كان لهذه الأشياء كلها أثر كبير في إبراز شخصيته من بين الصحابة حتى أصبح قدوة ونموذجًا لهدي النبي ﷺ وسمته.

مات ـ رحمه الله ـ بالمدينة، ودفن بالبقيع سنة اثنتين وثلاثين. رحمه الله رحمة واسعة(١).

- المعنى العام:

إن حب الله لا يكون دعوة باللسان ولا هياما بالوجدان وكفى، بل لا بد أن يصاحب ذلك الاتباع لرسول الله والسير على هداه وتحقيق منهجه في الحياة، فالمحبة ليست ترانيم ولا كلمات تقال، ولكنها طاعة لله ورسوله وعمل بمنهج الله الذي يحمله الرسول. والرفقة والصحبة عنوان المحبة والعامل الفعال للارتباطات القلبية والفكرية، ولها التأثيرات الواضحة في مجالات الحياة. وإلى هذا يشير مربي الأمة قائلاً: «المرء مع من أحب وله ما اكتسب». ومعنى

(١) سير أعلام النبلاء ج١ ص٤٦١ ـ ٥٠٠ باختصار وتصرف.

الحديث أن المرء يحشر مع من أحبه وله أجر ما احتسب في محبته. وأول ما يطالب به المؤمن أن يكون ولاؤه لله ورسوله ومحبته لنبيه، بحيث تتجلى هذه المحبة في سلوكه وانطلاقاته؛ يقول ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين». والآيات كثيرة تشير إلى هذه المفاهيم، قال تعالى: ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم * قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين**﴾. يقول ابن كثير: هذه الآية حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس على الطريقة المحمدية، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» وقال حسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني**...﴾ وعائشة ـ رضي الله تعالى عنها ـ توضح مفهوم الحديث ومفهوم الآية المذكورة قائلة: قال رسول الله ﷺ: «وهل الدين إلا الحب في الله والبغض في الله؟». قال الله تعالى: ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**﴾(١).

ويستمر ابن كثير في شرح الآية فيقول: ثم قال تعالى آمرًا لكل أحد من خاص وعام ﴿**قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا**﴾ أي تخالفوا عن أمره ﴿**فإن الله لا يحب الكافرين**﴾ فدل على أن مخالفته في الطريقة كفر والله لا يحب من اتصف بذلك وإن ادّعى وزعم في نفسه أنه محب لله ويتقرب إليه حتى يتابع الرسول النبي الأميّ(٢).

---

(١) تفسير ابن كثير، سورة آل عمران، م١ ص٥٣٦.

(٢) المصدر نفسه.

وكان رسول الله ﷺ يعرف رجاله معرفة وثيقة ويعرف من خصائصهم ما لا يعرفون عن أنفسهم، وكان يعرف أن الأعراب أقل رقة ومودة فكان ينمي فيهم هذه المحبة، أي محبة الرسول ﷺ ثم محبة الطيبين. والرواية التالية توضح ذلك: «عن أنس أن رجلاً من أهل البادية أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله متى الساعة قائمة؟ قال: ويلك وما أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها إلا أني أحب الله ورسوله. قال: إنك مع من أحببت. فقلنا: ونحن كذلك؟ قال: نعم. ففرحنا يومئذ فرحًا شديدًا».

وفي رواية أخرى عن أنس «فلم أر المسلمين فرحوا فرحًا أشد منه»[1]. وسبب هذه الفرحة أنهم أحبوا الرسول بكل المشاعر والجوارح وبكل معاني الإخلاص والمودة والتفاني، وكانوا يتمنون أن لا يفارقوه لحظة واحدة لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولكن تحقيق هذا العمل كان صعب المنال في تصورهم، ويحسن بنا هنا أن نعيش لحظات مع صحابة رسول الله ﷺ وهم يتشوقون إلى صحبته في الآخرة، وفيهم من يبلغ به الوجد لدرجة أنه لا يمسك نفسه عند تصور فراقه. قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب السقمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير قال: «جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله ﷺ وهو محزون فقال له النبي ﷺ: «يا فلان ما لي أراك محزونًا؟» فقال: يا نبي الله، شيء فكرت فيه. فقال: ماهو؟ قال: نحن نغدو عليك ونروح وننظر إلى وجهك ونجالسك وغدًا ترفع مع النبيين فلا نصل إليك. فلم يرد عليه النبي ﷺ شيئًا. فأتاه جبريل بهذه الآية ﴿**ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا**﴾[2]. فبعث النبي ﷺ فبشره». ومعنى الآية أن من عمل بما أمر الله به ورسوله وترك ما نهاه الله عنه

(١) راجع فتح الباري، كتاب الأدب، باب علامة الحب في الله، ج١٠ ص ٥٥٥.
(٢) سورة النساء: الآية ٦٩.

ورسوله فإن الله عز وجل يسكنه دار كرامته ويجعله مرافقًا للأنبياء ثم لمن بعدهم في الرتبة وهم الصديقون ثم الشهداء ثم عموم المؤمنين وهم الصالحون ﴿**وحسن أولئك رفيقًا**﴾ وهذا معنى قوله ﷺ «المرء مع من أحب». وعن ابن عباس أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: إني لأحبك حتى أني لأذكرك في المنزل فيشق ذلك عليَّ وأحب أن أكون معك في الدرجة فلم يرد عليه النبي ﷺ فأنزل الله عز وجل ﴿**ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم**﴾. وثبت في صحيح مسلم من حديث حقل بن زياد عن الأوزاعي عن يحيى بن كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن ربيعة بن كعب الأسلمي أنه قال: «كنت أبيت عند النبي ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي: سل. فقلت: يا رسول الله أسألك مرافقتك في الجنة. فقال: أوغير ذلك؟ قلت: هو ذاك قال: فأعني على نفسك بكثرة السجود. وهذا معنى قوله ﷺ «المرء مع من أحب» فإذا أعان المرء نفسه بكثرة السجود كان مع من أحب.

ومنظر آخر من مناظر المحبة عن عمرو بن مرة الجهني قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله: شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله وصليت الخمس وأديت زكاة مالي وصمت شهر رمضان. فقال رسول الله ﷺ: «من مات على ذلك كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة».

وظل ﷺ يوجه أمته إلى المحبة في الله وإلى اختيار الصحبة الطيبة فيقول مرة: «المرء مع خليله فلينظر من يخالل». ويقول أخرى: «المرء مع من أحب». وأعظم من هذا كله بشارة ما ثبت في الصحيح والمسانيد وغيرهما من طرق متواترة عن جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ سئل عن الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم، فقال: «المرء مع من أحب». وفي رواية عن أنس أنه قال: إني لأحب رسول الله ﷺ وأحب أبا بكر وعمر ــ رضي الله عنهما ــ وأرجو أن الله

يبعثني معهم وإن لم أعمل كعملهم. وهذه هي المفاهيم والأهداف التي يرمي إليها الرسول ﷺ عندما يقول: «المرء مع من أحب»، ويشجع إلى هذه الصحبة بكلمات ندية عطرة؛ فعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم». قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم. قال: بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين». أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك، واللفظ لمسلم[1].

كانت قضية الصحبة تشغل قلوبهم وأرواحهم، أمر الصحبة في الآخرة وقد ذاقوا طعم الصحبة في الدنيا وإنه لأمر يشغل كل قلب ذاق محبة هذا الرسول الكريم. ومن هنا وضع ﷺ لذلك أسسًا ومعايير.

- أسس الصحبة:

كانت البيئة المدنية مختلطة بالفئات الثلاث: المسلمين ـ اليهود والنصارى ـ المشركين والمنافقين. وكان ﷺ يعلم أن رواسب الماضي وجوانب الميول الطبيعية بحكم الإلف والعادة قد يدفع بعض المسلمين ويتعاطفون مع الفئات غير المؤمنة ويندفعون نحوهم، فوضع لذلك مقاييس ومعايير وقال: «لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي».

وتأثير الجليس الصالح ومدى خطورة جليس السوء، وضح هذه الفكرة ﷺ بأسلوب بلاغي وبتشبيه بديع فقال عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل

---

(١) تفسير ابن كثير، م١ سورة النساء ص٧٩٣.

المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحًا طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة». متفق عليه(١).

وهو تشبيه بليغ لتوضيح الفكرة وتقريبها إلى النفوس، فشبه الجليس الصالح بحامل المسك وشبه الجليس السوء بنافخ الكير، وإن تأثير كل منهما ليلمسه كل صاحب عقل وفكر، وقد أنار ﷺ بذلك طريق اللقاء، ووضح أساس اختيار الأخ والصديق، وبين المنهج السليم في الاختيار وطلب ﷺ بأن يخبر كل أخ أخاه بأن محبته هذه لله وفي الله، وللنصح والإخلاص وللتآخي والتآلف. فعن المقدام من معد يكرب قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه إياه»(٢). وكان ﷺ يجدد هذه الفكرة بين حين وآخر ويحول الأمور المادية إلى الأمور القلبية والروحية، فعن معاذ بن جبل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عز وجل: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء»(٣).

والتدقيق في الملامح التي تبدو من خلال هذه التوجيهات يجعلنا نعيش مع البيئة المدنية في صورتها البشرية التي كثيرًا ما ننساها ونرى فيها مواضع الضعف والقوة، ونرى أنه ﷺ كيف يوجه أمته من المصالح المادية إلى الروابط الربانية وكيف ينقي النفوس من أدرانها وشوائبها المادية حتى يغدو المؤمن كامل الإيمان، لا يحب أحدًا من البشر، ولا يميل إلى شيء من عرض الدنيا أو شهوة من شهواتها، أو مبدأ من مبادئ أهلها أكثر من محبته لله تعالى، فمحبته لله

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر، وأخرجه البخاري في كتاب الذبائح و(باب المسك).

(٢) تحفة الأحوذي م٧ (باب ما جاء في إعلام الحب) ص٧١.

(٣) تحفة الأحوذي م٧ (باب ما جاء في الحب في الله) ص ٦٥، ٦٦.

تعالى هـي المهيمنة على حياتـه والمسيطرة على قلبـه . وقد بحث العلماء الـدوافع والأسبـاب التي تجلب محبـة الله لعبـده ومحبة العبـد لـربـه ، ولابن القيم في ذلك دراسة ممتعـة ، يعدد في كتـابه القيم مدارج السـالكين الأسباب الجالبـة للمحبة نذكر منها بعضها :

١ - قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به .

٢ - التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض .

٣ - دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال .

٤ - إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى .

٥ - مطالعـة القلب لأسمائه وصفاته ومشـاهدتها ومعرفتها وتقلبـه في رياض هذه المعرفة وميادينها .

٦ - مشاهـدة بره وإحسانـه وآلائه ونعمه البـاطنة والظاهـرة ؛ فإنها داعية إلى محبته .

٧ - انكسار القلب بين يديه .

٨ - الخلوة به وقت النزول الإلهي آخر الليل لمناجاته وتلاوة كلامه .

٩ - مجالسة المحبين الصادقين والتقاط أطايب ثمرات كلامهم .

فمن هذه الأسباب وصل المحبون إلى منازل المحبة[١] .

هذه هي الـوسائل لتنقية القلب من شوائب الـدنيا ولتطهير النفس من أدران المادة وحب الدنيـا وكراهية الموت ، ويبعث المؤمن يوم القيـامة مع من أحب من الأنبياء والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا .

---

(١) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية ج٣ (فصل في الأسباب الجالبة للمحبة) ص ١٧ ، ١٨ .

- ما يستفاد بالحديث:

١ - الحديث يشير إلى حسن اختيار الأصحاب والأصدقاء، ومجالسة الطيبين.

٢ - الحديث ينير الطريق للشباب ليلتفوا حول العلماء والدعاة والصالحين، وينهلوا من معينهم، ويتعلقوا بهم، ويزدادوا إعجابًا بسلوكهم ويحذوا حذوهم في الأعمال الصالحة.

٣ - الحديث يدعو إلى التآخي والتآلف ويغرس في المؤمن معاني، ومفاهيم الأخوة المطلوبة في القرآن الكريم ﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾.

٤ - ويستفاد من الأحاديث الواردة في هذا الموضوع أن المؤمن إذا أحب النبي والصحابة، ولم يتمكن من القيام ببعض أعمالهم بُعِثَ معهم بلطف من الله وكرمه.

- فقه الحديث:

● من خالل مخلوقًا في خلاف أمر الله ورسوله كان له من هذا الوعيد نصيب كما قال تعالى: ﴿**الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين**﴾. وقال تعالى: ﴿**إذ تبرأ الذين اتُّبعوا من الذين اتَّبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب**﴾. قال الفضيل بن عياض: حدثنا الليث عن مجاهد: هي المودات التي كانت بينهم لغير الله؛ فإن المخالّة تحابّ وتوادّ، لهذا قال: «المرءُ على دين خليله». فإن المتحابين يحب أحدهما ما يحب الآخر بحسب الحب. فإذا اتبع أحدهما صاحبه على محبته ما يبغض الله ورسوله نقص من دينهما بحسب ذلك وإلى أن ينتهي إلى الشرك الأكبر؛ قال تعالى: ﴿**ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا يحبونهم كحب الله**﴾[1].

---

(١) فتاوى ابن تيمية، ج٧، ص٧٤، كتاب الإيمان.

● يجوز تحويل السؤال إلى صيغة الإنكاري لغرض بلاغي، فالرجل يسأل الرسول ﷺ بقوله: متى الساعة؟ فحوّل الرسول ﷺ «متى» إلى «ما» فقال: «ما أعددت لها؟»، وسلك مع السائل أسلوب الحكيم، فأفاده بما هو مفيد بأسلوب بليغ.

● يجوز حصول المعية «المرءُ مع من أحب» بمجرد دخوله في الجنة؛ لأن المعية لا تقتضي عدم التفاوت في الدرجات.

obeikandl.com